

البناء الفني في وصايا وحكم الإمام الصادق عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور

فلاح رزاق جاسم

جامعة الكوفة - كلية الفقه

المقدمة:

الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام فرع الدوحة المحمدية المباركة ورمز العترة المطهرة خلد بما بث من علوم ومعارف ونشر من فقه واحاديث رسالة جده المصطفى عليه السلام وحياة الامام الصادق عليه السلام جسدت الدعوة الى العدل امام استبداد الحكام الظالمين والجهر بالحق امام الباطل والانحراف وقد كان نثير علمه قد امد بالعلوم والمعارف اساطين علماء الامصار كالبصرة والكوفة والحجاز وانا بفيض افكاره عقول جهايزة العلماء في عصره كمالك بن انس وابي حنيفة وابن عيينة واضرابهم فهو بعد عميد لأول مدرسة فكرية في الاسلام ومحرك العقل الاسلامي من الجهل والتراكمات الى الحرية الفكرية القائمة على الحقيقة والمنطق العلمي وهو الاستاذ الاوحد في الفقه يومذاك بل المرجع والمؤئل لطلاب العلم والاصول فالحديث عن الامام الصادق عليه السلام امام المسلمين واستاذ العلماء والمفكرين انما هو حديث عن علم من اعلام العترة المحمدية ومرحلة من مراحل امتداد الامامة والقيادة الفكرية والسياسية في حياة الامة، وطبيعي ان تتنوع جوانب حياته وتتسع معارفه ومداركه لتشمل مختلف القضايا والابعاد ود جاء اختيار محور البحث لجانب من الجوانب المشرقة والاركان الوضاعة الا وهو دستور الوصايا والحكم عند هذا الامام الخالد وقد انتظم البحث في مطلبين تناول الاول مكانة الامام الصادق عليه السلام عند الكتاب والمؤلفين والمفكرين اما الثاني فطرق الى الملامح الفنية من الدراري والدرر الكامنة في تلك الوصايا الخالدة والحكم الثمينة بمقدار ما يسمح به حجم البحث اما الخاتمة فلخصت مجمل ما جاء من مضامين وختمته بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة وبعد فهي محاولة متواضعة في طريق البحث الجاد عسى ان تحظى برضا الامام عليه السلام وما توفيقني الا بالله عليه وتوكلت واليه انيب وله الحمد والمنة.

المبحث الاول

شخصية الامام الصادق عليه السلام بأقلام الكتاب والعلماء والمؤلفين

اجتمعت كلمة السلف والخلف من علماء الدين وارباب المذاهب الفقهية واصحاب الحديث والتراجم والتاريخ والسير قديماً وحديثاً على ان الامام الصادق عليه السلام المعلم والموجه الاكبر لرجال العلم والفكر في عصره والمبرز الاول الذي انتشرت عنه المعارف ونقلت منه العلوم ولعل من امثلة ذلك ما اثر عنه في معاني القران واحكام الشريعة وفروع الفقه واصول الاستنباط فضلاً عما تناقله عنه المحدثون من مناظرات الفلاسفة والمتكلمين في جملة من المسائل وما اسند الباحثون اليه في شتى حقول الفكر وميادين الثقافة ومن ذلك ما روي عنه في العلوم الطبيعية والتطبيقية كالطب والكيمياء والفلك ونحوها ما يؤكد ريادته عليه السلام في ذلك كله يضاف الى ذلك اجماع واصفيه بانه لقب بالصادق كونه عرف بصدق الحديث والقول والعمل حتى صار حديث الاندية واشتهر بذلك بلسان الناس في عصره بالإضافة الى اتصافه بمحاسن الصفات ونبل الاهداف ومن ذلك سمو الغاية ونبل المقصد والتجرد في طلب الحقيقة والدعوة الى الحق وما شاكل ذلك بحيث مارس مهماته ومسؤولياته العلمية والعقائدية على اساس ذلك فكان اماماً واستاذاً وعالمًا فذاً لا يدانيه احد من العلماء ولا يجاريه شخص من المفكرين ولا ينافسه استاذ او صاحب معرفة كونه عليه السلام قمة شامخة ومجداً فريداً فجر ينابيع المعرفة وافاض العلوم والمعارف على علماء عصره واساتذة زمانه فكانت اساساً وقاعدة علمية وعقائدية متينة قام عليها بناء الاسلام واتسعت من حلولها افاقه ومدياته وقد (نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان ولم ينقل عن احد من اهل بيته ما نقل عنه ولا لقي احد منهم من اهل الآثار ونقله الاخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن ابي عبد الله عليه السلام فان اصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا اربعة الاف رجل.... وكان عليه وابائه السلام يقول: حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن ابي طالب امير المؤمنين وحديث علي امير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل^(١) واتسع نطاق مدرسته فأستوعب عدداً غفيراً من طلاب العلم وامتدت جغرافياً لتتخذ من مدينة الكوفة مركزاً لها في ذروة نموها وتطورها واما عن علمه وفقهه ومقامه المعرفي فقد جاءت كلمات الاعلام مؤكدة على ذلك وهذا ابو حنيفة

امام المذهب الحنفي يقول عنه (ما رأيت افقه من جعفر بن محمد)^(٢)، ويقول مالك بن انس امام المذهب المالكي (اختلفت اليه زماناً فما كنت اراه الا على ثلاث خصال: اما مصل واما صائم واما يقرأ القرآن وما رأيت يحدّث الا على طهارة)^(٣)، وقال عمرو بن ابي المقدام (كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين)^(٤)، وقال المنصور العباسي لما بلغه نبأ وفاة الصادق عليه السلام: (ان جعفرًا كان ممن قال الله فيه "ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات)^(٥)، وقال ابو حاتم عنه (ثقة لا يسأل عن مثله)^(٦)، وروي نحو ذلك عن عددٍ من كبار المحدثين^(٧)، ويقول الذهبي (احتج به سائر الامة وحدث عنه الائمة)^(٨)، وقال عنه ابن واضح اليعقوبي (كان افضل الناس واعلمهم بدين الله وكان اهل العلم الذين سمعوا منه اذا رووا عنه قالوا: اخبرنا العالم)^(٩)، ونعته الشهرستاني بانه (ذو علم غزير في الدين وادب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات)^(١٠)، وقال ابن الصباغ المالكي عنه (مناقبه كثيرة تكاد تقوت عد الحاسب ويحار في انواعها فهم اليقظ الكاتب)^(١١)، ويقول ابن حجر (نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان)^(١٢)، اما من المعاصرين فمنهم ابو زهرة الذي تحدّث عن الصادق عليه السلام قائلاً (العلماء الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده وصفوه بانه في الذروة من العلماء واعترفوا له بالإمامة في فقه الدين)^(١٣) وكتب عنه الشرقاوي قائلاً (اغنى الحياة والفكر بحسن السيرة والعلم الغزير واشراقاته الروحية واستبطاه العقلي... وكان الامام جعفر من بين ال البيت هو الامام الذي تتطلع اليه الانظار)^(١٤)، الى ما هنالك من اقوال واءراء لكثير من العلماء وكلها تنص وتجمع على جلاله ومقام الامام الصادق عليه السلام وسمو مكانته العلمية وشخصيته الفذة التي خدمت الاسلام وقدمت التضحيات في سبيل نشره واعلاء كلمته حتى بذل الغالي والنفيس من اجل ذلك وسوف نكتفي بهذا المقدار من اراء اولئك العلماء وغيرهم لدلالاتها على المقصود وتوافرها على المطلوب اما في مجال الحديث عن زهد الامام الصادق عليه السلام وعبادته فكان هو الآخر لا يقل شأنًا عن علمه وفقهه وقد جاءت اقوال العلماء واكدت كلماتهم على هذه الناحية^(١٥)، يضاف الى ذلك اتساع الحديث عن كرمه ومكارم اخلاقه فقد كانا مضرب المثل وحديث الاندية فهو عليه السلام التجسيد الحي للقران الكريم والمثل الاعلى لأخلاق جده المصطفى صلى الله عليه وآله في السير على نهجه واتباع خطواته وهو بالتالي من اهل هذا البيت

الطاهر الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهو احد مظاهر حديث الثقلين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ وهما الكتاب والعتره فكان عليه السلام العارف بأسرار الكتاب ومستودع حكمته ومقاصده وهو الامام المجلى والمظهر الاسمى في علوم الدين ومعارف الطبيعة واسرارها ولا عجب او غرابة ان تجتمع في انسان او حدي كل هذه المزايا والصفات النادرة والعبقريات الفذة فيكون الشخص الاوحد النادر في (النهوض بالفكر الانساني لإعطائه حقه المتميز وشأنه المرموق في الملأ العلمي والمجتمع الاسلامي في عصره)^(١٦)، وليس في الأمر ما يدعو للمبالغة او الغلو كونه وريث السلالة المحمدية وحفيد مدرسة المرتضى ورضيع الرسالة القرآنية.

والاطروحة السماوية ولأجل ذلك ألتف حول الامام الصادق عليه السلام نخبة كبيرة من علماء الاسلام وطلاب الدين ورواد الفكر وعشاق المعرفة فتجاوز عدد الرواة عنه و المغترفين من معين علمه وبحر معرفته اربعة الاف راوٍ ومستفيد وفيهم من صار معدوداً من المشاهير على كل صعيد منهم على سبيل المثال لا الحصر ابو حنيفة و ابو عمرو بن العلاء وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان والاف غيرهم.^(١٧) وبهذا ننهي الحديث عن مجال فضله وعلمه وسابقته او ريادته في دنيا الفضائل والمعارف ففيه الكفاية لأهل العلم والدراية.

المطلب الثاني

ملامح البناء الفني في وصايا وحكم الامام الصادق عليه السلام

يجدر القول ان الكتابة في سيرة ائمة الهدى عليه السلام تمثل الناحية الواقعية والصورة الحقيقية والبعد الشامخ للإسلام المحمدي الناصع لذا فان تسليط الضوء على دراسة حياتهم باستيعاب يشكل المشعل الوضاء في الحديث عن الاسلام الاصيل وتمثل منهجهم الاسمى في صرح الاسلام بالعمل على نشر الوعي بالأمّة وتفجير الطاقات بقصد ترسيخ مبادئ الاسلام ورسالة رسوله الاعظم ﷺ ولعل من ابرز معالم اهل البيت عليه السلام في هذا الحقل هو التركيز على العلم واحترام العلماء ونشر مبادئ الدعوة الاسلامية وترصين المبادئ والمثل وتركيزها في النفوس اذ لم تكن من عزمهم ولم تفت من عضدهم في هذا السبيل سياسات حكام الجور وادوات القمع والبطش والتضليل من مواصلة الدعوة بهذا الخصوص ومن

الجدير اثباته هنا كذلك ان سيرة الائمة عليه السلام فيها حقول مكتشفة واخرى لم يماط اللثام عن الغموض فيها وكشف ابعادها ذلك ان اكثر الكتابات عنهم تظهرت في بيان فضائلهم وجلاء مناقبهم بعيدة عن التحليل وكشف الابعاد التي ينبغي اكتشافها اكثر باعتبار ان جوانب من سيرتهم عليه السلام وتراثهم الفكري لم يبحث على النحو الذي يكون عليه البحث في العرض والسرد والتحليل بل ان هناك جوانب لم يسلم عليها الضوء الكاشف بالمقدار الذي ينبغي له من جلاء وبيان ولم تجمع اطرافها المهمة في دراسات مبسطة وموجزة تغني القارئ عن الرجوع الى الموسوعات الضخمة والكتب الموسعة في هذا الملحظ والتي لم تخضع في معظمها لقواعد التحليل والتدقيق. ويمكن القول هنا ان التراث العلمي الذي خلفه الصادق عليه السلام هو غني بالابتكار وسعة المعرفة وعمق النظر وبعد الغور فقد طرق المعرفة من جوانب متعددة وكان همه الاكبر الاعتماد على العقل بصدق وموضوعية فلم يقتصر على تفسير القرآن واحكام الفقه وشؤون الدين ذلك ان العلم يتخطى هذه المفاهيم ويخدم الانسان في كل بعد من ابعاد الحياة فجاء تراثه عليه السلام موضحاً خفايا كثيرة من الحقائق الكونية الغامضة بما يدل على انه كان متجهاً نحو قيام حضارة اسلامية متميزة تقوم على العلم والفكر والمهم في هذا المجال معرفة نوع الحياة وكيفية السلوك الاجتماعي عند الامام عليه السلام كما هو عند سائر الائمة عليه السلام والتعرف على طبيعة تلك النشاطات الثقافية وخصوصاً في مجال الادب والخوض في غمار الفن اذ قدم عليه السلام كما هو عند ابائه عليه السلام مختلف النصوص الادبية والتراث الفني الذي تمثل في الرسائل والوصايا والحكم والاحاديث والامثلة وروائع فن القول وقبل الدخول لبيان بعض تلك الجوانب الفنية يحسن بنا معرفة معنى الفن عند اهل الفن ذلك انه من الالفاظ الشائعة ومن اكثر المعاني المتنوعة فقد اختلف رواد الادب والفن في معرفته وما هيته ولم يكن هناك اتفاق على تعريفه عندهم بحسب نظرتهم اليه واتجاههم نحوه الا ان القدر الجامع في تعريفه عندهم هو انتاج انساني يعبر بطريقة معينة عن عاطفة المبدع واحساسه نحو الوجود وموقفه منه تعبيراً منظماً قد يثير في متلقيه ما اثاره الوجود في المبدع من عواطف ومواقف^(١٨)، فهو يعني هنا تعبيراً رائعاً منبثقاً من حنايا النفس على شكل خواطر او افصاح عما يتردد في القلب من مشاعر وبيان لما يرتسم في الخيال من تصورات والفنان بعد ذلك يحاول التعبير عما يختلج عنده من هذه الخواطر والمشاعر بالطريقة الفنية من لفظ ولحن او خطوط او الوان^(١٩)، وقد تتسع دلالة هذه الكلمة لتشمل

مختلف النشاطات الانسانية سواء ما كان يذهب الى غاية نفعية وحاجة مادية كالمأكل والملبس ونحوهما ام ما كان يرمي الى نشاط روحي بعيداً عن الجانب المادي بالسعي للتعبير عن الخفايا النفسية وتلبية المتطلبات المعنوية بما تتسامى فيه الروح بالعروج نحو القيم السامية والنبيل الرفيعة والغايات السامية بما يسميه البعض (فلسفة الفن) وهي احدى الفلسفات المتمثلة في بيان ماهية الفن والمباني الفلسفية له وبهذا اللحاظ هل يمكن القول ان لائمة اهل البيت عليه السلام بيانات فنية واقوال ادبية تمثل نتاجاً ادبياً فنياً عند نقاد الادب ومهرة الفن؟ والحق ان تراث اهل البيت عليه السلام غني بهذا الملحظ وطافح بأنواع الفنون الادبية والسمات الفنية وقد تمثل ذلك على شكل خطب وادعية وقصص وتوقعات ووصايا وحكم ونحوها ما يثير الانتباه ويشد النظر وما يبعث على التأمل وقد عالج الائمة عليه السلام من خلال هذا النوع من ادب الفن مختلف القضايا الانسانية والشؤون الاجتماعية في نفاثات فنية تعكس الاحساس الجمالي البارع بما تثيره عند القارئ او المتلقي من احساس نفسي تجعله يتفاعل مع تلك المعاني والقيم ومن المقطوع به هنا ان الناقد الواقعي هو من يستخدم مقدرته عبر جمالية الفن في تغيير القيم البالية واستبدالها بأخرى قادرة على التفاعل مع معطيات الحياة النابعة من الفطرة وهذا بالواقع يعد نمطاً او لوناً خاصاً من ألوان الفن الادبي بكل ما تحمله الكلمة من عمق واحساس ودقة وشمول بضميمة البعد الاخلاقي الكامن في تلك الوصايا والحكميات وهو الغرض الاسمى والهدف المنشود من وراء ذلك وهذا هو الذي حرص على ادائه ائمة اهل البيت عليه السلام وصادقهم عليه السلام فقد اغنى كما هو شأن ابائه بتلك الكنوز المكتبة الادبية والمنجم الفني ثراء وابداعاً وبراعة بقصد اغناء المسيرة الادبية ودفع عجلتها الى امام ومعلوم ان غاية الفن هي (التعبير عن الجمال واظهاره بأبهى اشكاله واجمل حلله)^(٢٠).

وبما ان الدين الاسلامي يهدف الى البحث عن الحقيقة الكامنة في الاخلاق واشاعة روح الفضيلة والنبيل وبما ان الفن يبحث عن الجمال المطلق وعليه يمكن القول ان فن الوصايا والحكم يتمظهر في ايجاد تلك المواعظ والارشادات والحكميات النافعة الباعثة على تربية الانسان وصياغته معنوياً عن طريق هذا النمط من القول واللون من هذا الاداء كي يلتقي الجمال بالحقيقة والحقائق الاسلامية بعد هي ذروة السنام التي تلتقي عندها كل حقائق الكون ومن هنا يمكننا استعراض النواحي الفنية والاغراض الادبية الصادرة عن الامام الصادق عليه السلام في هذا المقام واستكشاف تلك المبادئ العظيمة والقيم النبيلة المطرزة

بأبهى صور الفن والكشف عن الابعاد الفنية الكامنة في تلك الوصايا والحكم وبيان ابعاد تلك المعاني المكتنزة واصطياد تلك الدراري والدرر المختبئة بأدق الاساليب واروع الصياغة متمثلة بهذا اللون من الجزالة والوضوح والمتلعة بأبراد التصوير الفني المتضمن لصور التشبيه والمجاز ودقة الوصف فضلاً عن روعة الاداء وموسيقى الاسلوب المتضمن لعنصر الایجاز الحاكي لتأدية المعاني العميقة المتكثرة بالألفاظ القليلة الرشيقة وتلك هي السمة التي اصطبغ بها كلام المعصومين والصفة الناصعة التي اضطلعت بها بدائع فن القول المخصرة في أدبياتهم وملامح كلامهم عليه السلام فضلاً عن المزايا والجوانب الاخرى البنائية الكامنة في بلاغاتهم اجل ان للحكم والوصايا والاقوال التي نطق بها هؤلاء الذوات المقدسة ومنها ما جاء على لسان صادقهم عليه السلام اهمية كبرى في حياة الامم التي تشد الرقي والتقدم تمهيداً لطريق السعادة فالحكم والارشادات التي يوجهها الامام عليه السلام بما يتعلق بالشؤون الاجتماعية والاقتصادية وبكل ما يمت الى الحياة بصلة انما هي سجل حافل وخالد تتلخص فيه الشخصية وتنبور فيه الاخلاق والخصائص الاجتماعية فما تلك النصائح والقيم التي يدلي بها الامام عليه السلام الا ولصالح المجتمع وسعادته فهو ينير الطريق بشعلة من الافكار كي يوجه الناس الى مناهج الحياة الصحيحة والابتعاد عن مزالق الجهل ومخاطر الفساد باعتبار ان اهل البيت عليه السلام هم خير من يوجب النصح للمسلمين وخدمة الامة في سبيل التوجيه الصحيح والسير بهم في طريق الهدى والرشاد وقد (خاضوا غمرات الحن في سبيل تحقيق ذلك فكانوا خير قادة للرشاد وائمة الهدى جربوا الحياة ومارسوها وكل منهم واجه ظروفًا خاصة وخاضوا معترك الحياة فكانت اقوالهم وحكمهم خلاصة تجارب وثمره كفاح عانوه)^(٢١).

وكان للأمام الصادق عليه السلام تراث فكري وثروة كبيرة من الحكم الاخلاقية والوصايا السماوية تعد في الواقع اعظم اثر من اثار دعاة الاصلاح وقادة الخير والرشاد بقصد تنظيم العلاقات الاجتماعية وتهذيب النفوس من كل ما يؤدي الى قطع روابط المجتمع بالحفاظ على نسيجه المتناسك هذا وان تلك الحكم الخوالت تتصف بصفة الشمول لجميع نواحي الحياة الانسانية ونوضح للمسلم معالم دينه الصحيح بل تشخص ادواء المجتمع وايجاد الحل الصحيح لمشكلاته وسيسلط هذا البحث الضوء على جوانب من تلك المباني والخصائص الصادرة على لسان صادق اهل البيت عليه السلام وابراز معالمها الابداعية وعناصرها الفنية في امور متفرقة مقتبسة من تلك الثروة العلمية وكشف معانيها وبيان مرادها ومن ذلك ما جاء

في قوله عليه السلام (لا يزال العز قلقاً حتى يأتي داراً قد استشعر أهلها اليأس عما في أيدي الناس فيوطنها)^(٢٢)، فقد اعتمد هذا الكلام الصورة الاستعارية وقد احكم صياغتها الامام عليه السلام معتبراً أن العز هو من اشد الدوافع النفسية المختلجة لدى الانسان ولا يمكن تحقيقه الا من خلال اليأس عما في أيدي الناس كون الحاجة اليهم تعد مكمناً للذل وموطن الهوان الذي يتحسس شعوره صاحب الحاجة فتأتي هذه الاستعارة لتقرر بمستوى فني بارع حقيقة مركوزه في الازهان ومتجذرة في الطباع السليمة تلك هي تجسيد الصورة المتمثلة في العز الذي هو صفة بشرية سوية بضميمة استعارة اخرى ذات صفة مكانية تلك هي سكنى الدار التي هي دار العز بعد الفراغ من التذلل عما في أيدي الناس حيث اكسب لفظة (العز) ناحية بشرية تمثلت في توطن تلك الدار ويمكننا ادراك تلك القيمة الاستعارية وبيان مدى بعدها البارع المتمثل في كلمة (العز) باعتبار توطنه في الدار اللائق به يعد تحقيقاً نحو عالم الثبوت والاستقرار الكامن في تلك النفوس الابية وتلك الدار هي المكان الاوحد الذي يميزها عن الباقين وبذلك يتم الانعزال عن الناس الا بمستوى الحاجة ما يعني عدم طلب الحاجة من الاخر بمقدار التذلل والامتهان وبذلك جسد الامام هذا الامر في صورة حسية فنية رائعة لها اساس متين في الواقع وركن ركين من الحقيقة وفي رائعة اخرى من روائع الصادق عليه السلام وفيها يقول (من لم يستح من العيب ويرعو عند الشيب ويخشى الله بظهر الغيب فلا خير فيه)^(٢٣)، وفي هذه الحكمة الرائعة والوصية النافعة يتجسد عنصر الايقاع في (العيب، الشيب، الغيب) ما يكسب الكلام قيمة الفن البلاغي جاعلاً عنصر الاستحياء من العيب والارعواء عند ظهور بياض الشيب حين يلوح في الرأس والخشية من الله تعالى بظهر الغيب بمعنى حضوره في الضمير في كل الحركات والسكنات فيكون الفن الايقاعي قد نبه الانسان الى هذه العناصر الثلاثة التي هي مكملات لبعضها البعض بل مرتبطة بحلقة في اخرى بسلسلة لا تقبل النقض والابرام فمن لا يصده العيب الذي هو استهجان النفس لكل قبيح فلا اقل من ان يتحسس مواطن الشيب التي تعني الرزاة والتعقل ومثال الانسان الى الافول في هذه الحياة تدريجياً ويحكم طوق كل ذلك المخافة والخشية منه تعالى التي هي غاية الغايات ونهاية المقتضيات وبالتالي فان من لم يستجب لهذه الامور الثلاثة ولم يخضع لسلطانها الواقعي فلا يرجى منه الخير والصلاح وكفى بذلك واعظاً بل الكفى بها من حكمه ناصعة تشد الانسان الى الحقيقة والواقع كي يتبصر عواقب الامور ويخبر بواطن المحذور.

وفي وصية اخرى من وصاياه النافعة عليه السلام ما جاء في قوله (ما من مؤمن ادخل على قوم سروراً الا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله تعالى ويحمده ويمجده فاذا صار المؤمن في لحده اتاه ذلك السرور الذي ادخله على اولئك فيقول: انا اليوم اؤنس وحشتك والقنك حجتك....)^(٢٤)، ففي هذه الوصية يلجأ فيها الامام عليه السلام الى المحاورة القصصية من خلال غرس مبادئ الخير لدى نوازع النفس التواقة ومن تلك القيم ادخال عنصر السرور لدى المؤمن خصوصاً اذا ضاقت الحياة عليه وبذلك يفرج عن ذلك الشخص سطوة الهموم والغموم وازاحة كابوس الشجون لينتزع من مهاوي السقوط في فخ تلك الكوابيس لئلا تخرجه عن حده الطبيعي وتؤثر على قوام شخصيته وقد مثل الامام عليه السلام قيمة ادخال السرور بتجسيده على هيئة ملك لا يفتر عن توحيد الله تعالى وتمجيده ليقوم بإيناس ذلك المؤمن في لحده لدى ادخاله في قبره محاوراً اياه بشكل قصصي نافع وايقاع بارع بان ما قمت به ايها المؤمن عوضاً عن تلك القيمة الانسانية ثمرته ادخال الانس عليك في دار الغربة والوحشة بل تلقينك الحجة يوم تلقى البارئ تعالى وكفى بذلك من حافز ودافع يدفع الانسان لإيجاد فعل الخير والاندفاع نحو مكارم الصفات والحث على مساعدة الناس والوقوف الى جانبهم خصوصاً في الازمات وازاحة عوامل ما يؤدي الى الانهيار والوقوف في معترك الاستسلام للحوادث ومشاكل الحياة وبهذا يعطي الامام عليه السلام في هذه الوصية شحنة اخلاقية مطرزة بمبكة فنية تمثلت في عنصر المحاورة بين فعل الخير والداعي له. وقد يفرض السياق نفسه بلغة تتميز عن الاخرى حين يتطلب السياق ذلك ففي محاورة ذات حكمة نافعة يصرح فيها الامام عليه السلام للمقابل حين يسأل ذلك الشخص الامام قائلاً كم محبوبكم يا ابن رسول الله؟ فأجابه عليه السلام بانهم طبقات فمنهم احبهم في السر ومنهم في العلانية ومنهم في كليهما وقال عليه السلام عن النمط الاخر (هم النمط الاعلى شربوا من العذب والفرات وعلموا بأوائل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الاسباب فهم النمط الاعلى الفقر والفاقة وانواع البلاء اسرع اليهم من ركض الخيل....)^(٢٥)، ففي هذا النص الشريف يحدد الامام عليه السلام بوصية مهمة وفيها انماط ايقاعية تمثلت في (الكتاب، الخطاب، الاسباب) في تقفية فنية بلاغية فضلاً عن استخدام الصورة الفنية في (العذب والفرات) و (فصل الخطاب) ففي الشكل الاول يتجسد الرمز بأجلى مظاهره اما في النمط الاخر فيكمن عنصر التضمنين ملحقاً بها صورة فنية ثالثة بارعة تلك هي التشبيه في قوله (اسرع اليهم من ركض الخيل) فقد اعتمد هذا الحوار الناصع مجال

الفن بكل انسجته فضلاً عن اختيار اللفظة فنياً وبلاغياً وقيماً ما يشعر ان الامام نسج لوحة فنية دشنها باطار رابط كي ينه المتلقي.

ففي قوله عليه السلام مثلاً (شربوا من العذب الفرات) صاغ العبارة فنياً واديباً من حيث حبك العبارة وتجسيد صورتها البلاغية ما ينتج من احياء ودلالات تخلق لدى السامع عدة تصورات وخواطر ذلك ان العذب الفرات يتبادر معه الذهن الى النهر الجاري الصافي بما هو عذب على نحو الاطلاق ثم يتأكد في ذلك عنصر الولاء الكامن في النقاء والطهر والخير كدلالات مترشحة من ذلك الارتباط الروحي وحتى العبارات الاخرى التي لم يتجسد فيها عنصر الفن مثلاً من مثل (الفقر الفاقة انواع البلاء) فانها كلمات منسجمة واقوال منتقاة يهدف فيها الامام عليه السلام الى تربية المقابل بالانصياع الى قضاء ما هو مقدر نتيجة تولي هذه الذوات المقدسة كضريبة لغرض الامتحان وقوة الاختبار وكفى بذلك حكمة واعظة ووصية بالغة ومن ذلك ما جاء في رسالة للأمام عليه السلام للمؤمنين وفيها وصية بالغة النفع وفيها يقول (اما بعد فسلوا ربكم العافية وعليكم بالدعاء والوقار والسكينة والحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون منكم... بهم يشفي الله السقيم ويغني العديم وبهم تنصرون وبهم تطرون وهم الاقلون عدداً الاعظمون عند الله قدراً او خطراً....)(٢٦).

ففي هذا الكلام يقدم فيه الامام عليه السلام توصيات مهمة تتعلق بالتفاعل الاجتماعي من خلال التكيف مع الآخرين بلغة فنية تحفل بالصور الایقاعية والاعراض الادبية وفيها يوصي الامام بمكارم الصفات المتعلقة بأخلاق المؤمن ومنها اتخاذ الدعاء والتدبر بالوقار والسكينة والحياء التي هي سمات تميز المؤمن وتعلو شأنه وتبرز مقامه ولعل من اخص تلك الصفات هو التنزه عما تدرع به الصالحون ومزية هؤلاء ان الله تعالى يشفي بهم السقيم ويغني العديم بعبارات منتخبة والفاظ منتقاه موشاه بلغة شرقية حافلة بصنوف القيم اللفظية الفنية ولعل ما يميز ذلك ابتداء هو وجود عنصر الايقاع المتمثل في قوله (السقيم، العديم) (تنصرون، تطرون) حيث استعمل الامام عليه السلام بصيغة فنية ناصعة جملاً مقفاة ومتوازنة مصحوبة بعنصر الابداع الفني المتجانس مع لغة الاخلاق والتوصيات الاسلامية النافعة فضلاً عن ايجاد عنصر التقابل من مثل (الاقلون والاعظمون) وتكرار ذلك التقابل الناصع (بهم تنصرون - بهم تطرون) ففي هذه الوصية الخالدة والحكمة البالغة يؤكد فيها الامام عليه السلام

على مزايا الصالحين وصفات هؤلاء المخلصين بعد وصفهم بتلك الصفات النبيلة ولأجل مقامهم العالي وشأنهم السامي جعل الإمام عليه السلام منزلتهم تلك ما يشفي بها تعالى السقيم ويغني العديم ويتحقق بهم الانتصار ومع قلة عددهم وقليل من عبادته الشكور الا انهم الاعظم قدراً والاعلى خطراً عند الله تعالى وقد وشح الامام عليه السلام هذه الصفات المختصة بالصالحين بلغة فنية واشراق ادبية تجسدت بالإيقاع والتقابل بما اكسب النص قيمة فنية الى جانب شحنة بالجوانب الاخلاقية التي ينبغي للمؤمن مراعاتها ومنها التخلق بأخلاق الصالحين والالتحاق بدثار المخلصين وكفى بذلك موعظة وارشاداً تاماً. وفي وصية صالحة ونافعة اخرى للأمام الصادق عليه السلام وقد جاءت على شكل الخطاب الشخصي ذي البناء الفني المتمثل في موضوع موحد مع تنوع الموضوع ومن ذلك خطابه عليه السلام المتوجه الى احد اصحابه وهو ابو جعفر محمد بن النعمان نأخذ من موضع الحاجة وفيه يقول (يا ابن النعمان لا تطلب العلم لثلاث لترائي به ولا لتباهي به ولا لتماري ولا تدعه لثلاث رغبة في الجهل وزهادة في العلم واستحياء من الناس والعلم المصون كالسراج المطبق عليه...) (٢٧)، ففي هذا المقطع من النص الشريف يقوم بناء النص على طريقة الخطاب والمناقشة فضلاً عن العلم والبلاغة فانه قد ركز على اهمية فنية خاضعة لتجانس فكري متلاحم الاجزاء يتعلق بإشاعة الحديث وتدارسه فالمشييع للحديث دون مبررات خاصة انما ينطلق عن نفس مريضة ينبثق منها امراض كالرياء بقصد كسب السمعة الاجتماعية من خلال العلم او تعويض النقص الحاصل عنده وبهذا المجال يكون الامام عليه السلام قد اشار لقضية غاية في الاهمية تلك هي اشاعة الحديث دون مبرر وبذات الوقت اشار عليه السلام لمفاهيم ضرورية كضرورة تعلم العلم لوجه الله تعالى لا بقصد الرياء والمباهاة فقد ربط هذه المفاهيم المهمة بالموضوع الاساس وهو احد اسرار البناء الفني المذهل ففي اقامة هذه الاعمال استهداف لدلالات اكثر اهمية من الموضوع الاساس ذلك ان الفكرة الاساس التي تبنتي عليها تلك الاعمال هو العلم لأجل وجه الباري تعالى ومتى ما تحقق هذا الملحظ فان ما يلحقه سيكون على اتم وجه واكمل غرض ومتى ما كان اشاعة الحديث لأغراض وغايات فانه سيفضي الى مشاكل ترتبط برواية الحديث ما ينعكس على القضية البلاغية او الناحية العلمية وذلك ملحظ اتسم بدقة العبارة المتمحضة عن البخوع لقضية رضا الباري تعالى بما يستتبع معه اشاعة ما يصب في رضاه ام لا وتلك معاني متجانسة منبثقة عن بعد فني رائع مصوغ وفق

رؤية شرعية واخلاقية ومعان سامية تستهدف بناء المجتمع عن طريق هذا النوع من فن القول وفي ذات النص يشير الامام عليه السلام الى قضية اخرى فيقول (يا ابن النعمان ان المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو اعظم وزراً...)^(٢٨)، وهذا التكرار لهذه القضية من الامام عليه السلام لسلبية اشاعة الحديث فيه توسيع للخطاب نظراً لأهميته مستخدماً فيه عنصر التشبيه والاستعارة والتمثيل ولهذا الغرض قيمة فنية وغرض ادبي فقد شبه اشاعة الحديث كشاهر السيف وفي نفس المقطع شبه عليه السلام اشهار السيف للقتل معتبراً اياها اعظم ووزراً ففي هذا التشبيه المذهل يصور فيه الامام عليه السلام هذا النمط من الاشاعة بالعنصر الحي وذلك هو جمال الفن ودقة التركيب للإشارة الى دقة المطلب وخطورة الامر كي ينبه القارئ او المتلقي لهذا النوع من الاشاعة لأخذ الاهبة والوقوف عند الشبهات وعدم تعدي العقبات ويتابع النص الشريف سلسلة التشبيهات البارعة هذه من خلال التجانس المصوغ بصياغة صورية وفيه يقول (يا ابن النعمان ان الله جل وعز اذا اراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء فجال القلب بطلب الحق ثم هو الى امركم اسرع من الطير الى وكره....)^(٢٩)، فان هذا التشبيه جاء في سياق التشبيه السابق بما يكشف لنا بعداً متجانساً بين هذه التشبيهات ذلك هو التطور النوعي والنمو الحركي الكامن فيه بما يضيف عليه عنصر الاشراف والابداع من خلال النسيج المتوشح بين اجزائه المصحوب بعنصر التشبيه وذلك ما جاء في النكتة البيضاء في القلب اثر ارادة الخير للعبد من قبل الباري ما يضيف على النص جانب التشويق والانشداد نحو فعل الخيرات وصنع المبراث فضلاً عن اداء الجمال بهذا الاسلوب المشوق ولنقرأ مثلاً المقطع الاخير من هذا النص الشريف الحاشد بعنصر التشبيه وفيه يقول (يا ابن النعمان ان حبنا اهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزله الا بقدر ولا يعطيه الا خير الخلق وان له غمامة كغمامة القطر فاذا اراد الله ان يخص به من احب من خلقه اذن لتلك الغمامة فتَهطلت كما تهطلت السحاب فتصيب الجنين في بطن امه)^(٣٠)، ففي هذا النص المبارك تكمن ثلاثة تشبيهات (كخزائن) (كغمامة) (كما تهطلت).... وهذا العدد المهم من التشبيهات له خصوصيته وبراعته اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار قصديه النص عند هذا الامام المعصوم فلم يأت عن فراغ او عن اعتباط وانما كان للغرض الفني والجمال الابداعي حضور متميز في هذا الجانب فقد اعتنى النص بعنصر الصورة الفنية او التشبيهية من خلال هذا الحشد من صور التشبيه المتكررة والجامع او القدر

المشترك بينها هو تلك الصورة الادبية والاشراقة الفنية او البناء الفني الكامن فيه والذي يصور مدى القيمة المعنوية لحب اهل البيت عليه السلام المفروض قرآناً ونبوياً والذي يكتنز قيماً لا تقدر بثمن لكنه من باب التمثيل الحسي صوره بجزائن الذهب والفضة لقيمتها الخاصة عند الناس فضلاً عن اهمية الغمامة او المزنه بما تحمل من عطاء يغني الارض بالانبات وهذا ان دل فإنما يدل على اهمية هذا الحب المفروض على الخلق كثمن لأجر اداء الرسالة بحسب منطوق القرآن الكريم وكذا نلاحظ فيه عنصر الايقاع الموسيقي والاسلوب اللفظي المحتشد بالعبارات المنمقة المقفاة والمتلغفة بأبراد التجانس المتوشحة بجمال التعبير ورشاقة الاسلوب المتضمن للتكرار والمحاورة والتقابل بما يمكن رصده بوضوح في هذا النص الشريف وفي انماط اخرى ومن المؤكد ان هناك امثلة اخرى كلها تتطلع لبيان هذا الجانب الفني والبناء المعرفي عند الامام الصادق عليه السلام ولعل ذكرها مما يضيق بنطاق البحث فنكتفي بذكر هذه المقاطع من الشواهد والامثلة المتقدمة كدليل حاكمي لقوة البيان وبراعة القول ورشاقة الاسلوب ومتانة البناء وجمال الصورة وسوف نختم البحث بهذا المقدار المذكور كشاهد وبرهان واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:-

الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام سادس ائمة اهل البيت عليه السلام في سماء الامامة الحققة وقد خلد بما اثر عنه من معارف وعلوم وفيما نشر من احاديث وحقائق تتضمن رسالة جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله من خلال اقامة صرح الحق والدعوة الى نشر مبادئ الانسانية وزرع المثل والقيم النبيلة بين ابناء المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية بما قام به من تحقيق لذلك الغرض المنشود والهدف السامي وقد اثار بنور افكاره عقول العلماء من مسلمين وغيرهم فهو الاستاذ الاوحد والكمال الابرز والمجلى في ميادين العلوم والحقائق والكلام عنه انما هو تأكيد لإمامته الفكرية وقيادته السياسية ومرجعيته العقائدية في حياة الامة فقد تنوعت معارفه وتعددت مداركه فشملت مختلف القضايا والابعاد ومن تلك المسائل ما جاء في دستور الوصايا والحكم والمواعظ والارشادات بلغة فنية وروعة بيانية وجمال متميز فشمل عناصر التركيب الاساسية في غضون القضايا البلاغية من تشبيه واستعارة وتقابل ونحوها وكلها تحكي صور الابداع المتميز بجانب الموعظة والارشاد والمتوشح بوشاح الفكر والعقيدة بما هو مسطور في ثنايا البحث.

Abstract:-

Imam Abu Abdullah Al-Sadiq (p) Sixth Imam of Ahl al-Bayt (p) in the sky of the true imamate has been immortalized by the impact of the knowledge and science and the publication of conversations and facts include the message of His Grand Prophet (p) through the establishment of the truth and call for the dissemination of the principles of humanity And the planting of noble ideals and values among the people of society and the achievement of social justice in the achievement of that purpose and the goal of the Supreme has enlightened the ideas of the minds of scholars of Muslims and others is the only full professor and the most prominent in the fields of science and facts and talk about it is a confirmation of his intellectual Imam and his political leadership and ideological reference at The life of the nation has varied its knowledge and varied perceptions including the various issues and dimensions of those issues contained in the Constitution of commandments and governance and preaching and guidance in technical language and graphic splendor and distinctive beauty included the elements of the basic structure in the cases of rhetorical metaphor and borrow and meet and all of them tell the images of creativity mixed together with exhortation. With a sense of thought and belief in what is covered in the folds of research.

هوامش البحث

- (١) المفيد: الارشاد، ص ١٧٩.
- (٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١/١٦٦.
- (٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢/١٠٤.
- (٤) الاصفهاني: حلية الاولياء، ٣/١٩٣، ابن الجوزي صفة الصفوة ٢/٩٤، القندوزي: ينابيع المودة، ص ٣٨.
- (٥) تاريخ يعقوبي: ٢/١١٧.
- (٦) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣/١٠٤.
- (٧) ينظر: المصدر نفسه، ٣/١٠٣.
- (٨) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ٦/٢٥٧.
- (٩) تاريخ يعقوبي، ٢ : ١١٥.

- (١٠) الشهرستاني: الملل والنحل، ٢٢٤/١.
- (١١) ابن الصباغ: الفصول المهمة، ص ٢٠٥.
- (١٢) ابن حجر: الصواعق المحرقة، ص ١٢٠.
- (١٣) ابوزهرة: الامام الصادق، ص ٤.
- (١٤) الشرقاوي: شخصيات اسلامية، ص ٣٧، وما بعدها.
- (١٥) ينظر: ابن طلحة، مطالب السؤول، ٥٥/٢، الصبان: اسعاف الراغبين، ٢/٢ وغيرها.
- (١٦) ال ياسين محمد حسن: الائمة الاثنا عشر، ٦٣٥/١.
- (١٧) ينظر: في الوقوف على اسماء الرواة عن الامام الصادق عليه السلام: الطوسي: الفهرست، ص ١١٣ وما بعدها، الاصفهاني: حلية الاولياء، ١٩٣/٣، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٩٨/٢، الذهبي: سير اعلام النبلاء، ٢٥٦/٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩/٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٠٣/٣.
- (١٨) ينظر: اميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في اللغة والادب، ٩٥٦/٢.
- (١٩) المرجع نفسه والصفحة.
- (٢٠) السيد قطب: منهج الفن الاسلامي، ص ٥.
- (٢١) اسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الاربعة، ٣٤٥/٢.
- (٢٢) الامين محسن: المجالس السنية، ٥٠٩/٢.
- (٢٣) المرجع نفسه، ٥٠٦/٢.
- (٢٤) المرجع نفسه والصفحة.
- (٢٥) الحراني ابن شعبة: تحف العقول، ص ٣٤٠.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.
- (٢٧) تحف العقول، ص ٣٢٠.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.
- (٢٩) المصدر نفسه والصفحة.
- (٣٠) المصدر نفسه والصفحة.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- ال ياسين محمد حسن: الائمة الاثنا عشر، مطبعة الغدير، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٢- الاصفهاني ابو نعيم: حلية الاولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٩٧٨م.
- ٣- اسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الاربعة، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٧١م.
- ٤- الامين محسن: المجالس السنية، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

- ٥- اميل بديع يعقوب وصاحبه: المعجم المفصل في اللغة والادب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- ٦- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مطبعة القاهرة، طبعة مصورة، (د.ت).
- ٧- ابن الجوزي ابو الفرج: صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٨- ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- الصواعق المحرقة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، شركة الطباعة الفنية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٩- الحرائي ابن شعبة: تحف العقول عن ال الرسول ﷺ، دار القارئ، ط٢، ١٤٣٠هـ.
- ١٠- ابو زهرة محمد: الامام الصادق، مطبعة مخيمر، القاهرة، (د.ت).
- ١١- الشرقاوي عبد الرحمن: شخصيات اسلامية، دار اقرأ، بيروت (د.ت).
- ١٢- الشهرستاني عبد الكريم: الملل والنحل هامش الفصل، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- ١٣- الصبان محمد: اسعاف الراغبين، هامش نور الابصار، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
- ١٤- المالكي ابن الصباغ: الفصول المهمة، المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف، ١٣٧٠هـ.
- ١٥- ابن طلحة: مطالب السؤول، المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف، ١٣٧١هـ.
- ١٦- الطوسي محمد بن الحسن: الفهرست، المكتبة الحيدرية - النجف الاشرف، ١٣٨١هـ.
- ١٧- قطب محمد: منهج الفن الاسلامي، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.
- ١٨- القندوزي سليمان بن محمد: ينايع المودة، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٩- المفيد: الارشاد، مؤسسة ال البيت ﷺ لأحياء التراث، مصنفات الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
- ٢٠- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مطبعة الآداب - النجف الاشرف، ١٣٥٨هـ.